بالحيـــــا

ميتـــــــــــــــ

اسم الرواية: ميت بالحيا

تأليف: ولاء الهواري

تدقيق لغوي: عبد الفتاح السيد

تصميم الغلاف: عبد الرحمن محمد

تنسيق داخلي: أسماء عطا

رقم الإيداع: ٢٠٢١/٢٣٠٦

الترقيم الدولي: ٩٧٨-٩٧٧-٨٤٤-١٠٨-٧

جميع الحقوق محفوظة للناشر

وأي اقتباس أو تقليد، أو إعادة طبع أو نشر دون موافقة كتابية يعرض صاحبه للمساءلة القانونية والآراء والمادة الواردة

وحقوق الملكية الفكرية بالكتاب خاصة بالكاتب فقط لا غير.

E.mail:EBHARPUPLISHING@GMAIL.COM

MOBILE: 01060267401

ولاء الهواري

بالحيـــا
ميتـــــــــــــــــــــــــــــــ

روايـة

تسللت نسمة صيفية من نافذة غرفته .....
قام من على كرسيه الجلدي الأسود الفاخر الذي يقبع خلف مكتبه، ارتدى مئزره الأبيض، وخرج من غرفته.....

دلف إلى غرفة أخرى جدرانها بلون السماء وشراشف الأسَّرة بيضاء، وفي ركن تقبع فتاة خمرية البشرية ترتدي زي المرضى الأزرق، تاركة العنان لخصلات شعرها الأسود الفحمي، وعينين زيتونية، وأنف صغير، وثغر بلون النبيذ. تجلس القرفصاء، تحيط ركبتيها بذراعيها، وأناملها متشابكة، ومقلتاها تسبحان في الفضاء الخارجي من النافذة.....

على الرغم من أنه متوقع حالتها التي هي عليها منذ أشهر؛ إلا أنه شعر بغصة في حلقه وسهم يغزو قلبه.....

لا يدري كيف يقدم لها المساعدة؟! لو ظلت هكذا لن يستطيع أن يعيدها للواقع مرة ثانية.....

-يا إلهي ساعدني!!.....

همس بها في نفسه، اقترب منها، وقبل جبهتها قبلة حانية، لم ير منها أي ردة فعل كالعادة؛ فهي قطعت كل تواصلها بالعالم الخارجي منذ تلك الليلة..... منذ وفاة شقيقها أو بالأحرى مقتله..... قطع شروده رنينُ هاتفه المحمول، أجاب باقتضاب..... هل وجدتيه يا وداد؟

- بلى، يا سيدي..... الآن فقط وجدته بعد بحث استغرق شهورًا..... قطع ثرثرتها الفارغة بإغلاق الهاتف وخرج مسرعًا.....

ولج إلى المنزل، وجد المدعوة «وداد» بانتظاره في بهو المنزل، لفت نظره الدفتر الوردي في يديها، أخذه منها قبل أن تنطق ببنت شفة.

--أين وجدتيه؟

جئت اليوم؛ لتنظيف المنزل كعادتي الأسبوعية، وعندما قمت بترتيب دولاب ملابس السيدة «سيادة»، فضايقني الورق اللاصق في الرفوف ، فأزلته، ووجدت الدفتر أسفل الورق اللاصق مباشرة، فهاتفتك:

- يا سيدي.....

-جيد..... أشكرك يا سيدة وداد.

- عفوًا يا سيدي.

خرج مسرعًا؛ ليركب سيارته قاصدًا منزله، وهو يضم الدفتر لصدره، وكأنه كنز يخشى أن يتسرب من بين يديه، وهمس لنفسه: اليوم فقط سأعرف ما أخفيتيه عني أميرتي.....

ارتجل من سيارته، وسار مسرعًا نحو غرفته، وأخيرًا يصل لمكان خاص؛ لينفرد بدفترها، أغلق باب الغرفة بالمفتاح، وخلع جاكت الحُلة التي يرتديها، وجلس على الأريكة وفتح أول صفحة من الدفتر الوردي، وقرأ أول أسطر

«يسألونني عن والدي..... أجيب بأنه ميت منذ زمن..... يعلمون فيما بعد بأنه على قيد الحياة..... يطلقون سهامهم نحوي، ويقولون بأني فتاة جاحدة.....

أقول كلا يا سادة..... ألم تعلموا بشيء اسمه؛ ميت على قيد الحياة..... وأنا يا سادة أبي ميت بالحيا. يعتقدون أن هذا الحديث سهل على قلبي، كلا؛

أقسم أن الألم أتجرعه أشكالًا وألوانًا، وسيظل ما سمي عرضًا بأبي هو أصل الشقاء الذي رأيناه ..... فإنكم لا تعلمون، وتحكمون من سراب، وسأقص عليكم قصتي، واحكموا فيم بينكم عن ثلاثةِ أطفالٍ كل خطيئتهم أن والدهم ميت بالحيا..... أتعتبرون في عرفكم بأن الميت هو من جسده توارى تحت التراب.؟..... لا يا سادة بل الميت من تفقده، وأنت في أقصى أوقات شدتك، ويهرب من المسئولية، وها أنا سأبدأ أقص عليكم معاناة ثلاثة أطفال في مواجهة شراسة ذئاب في الحياة.....»

قلب الصفحة، ووتيرة أنفاسه غير منتظمة، هذه الكلمات عن والدها، توضح كم هي عانت حبيبته؟، يتمنى من الله فقط أن يستطيع مساعدتها بعد قراءة هذه الصفحات.

"العودة إلى الماضى»

" اليوم العمل في المنزل على قدم وساق، فالأم مشغولة اليوم بعمل أصناف من الأطعمة والحلوى؛ للاحتفال بذكرى ميلاد ابنها «حمزة» الذي أتم اليوم خمسة أعوام، قلبها يرفرف بالسعادة.

ليلى امرأة في منتصف العقد الثالث، بيضاء البشرة، متوسطة الطول، بملامح جذابة، لم يتوارث من صغارها الثلاثة لون بشرتها سوى حمزة، أما بِكرها «سيادة» ورضيعتها «فرح» ذات بشرة خمرية كوالدهم، سعيدة اليوم بأبنائها، وتضرع إلى الله في كل صلاة أن يحفظهم، قطع شرودها بكاء الصغيرة «فرح» التي ما زالت في عالم المشي، تسير بضع خطوات. فقامت، وضمتها بحنان..

وصل لبيته يجر قدميه جرًا، سار بتثاقل لا يعرف كيف سيخبر زوجته بأنه تزوج اليوم؟، فكيف لموظف مغمور مثله تأتي له فرصة الزواج من مديرة الشركة ويرفضها؟! أي نعم هي سترتبط به فقط من أجل الأولاد، يعرف أنها ستثور وتغضب، لكنه ليس عنده أدنى استعداد بأن يغامر، ويترك هذه الفرصة وهو الآن قرر ، وانتهى الأمر..... مع أنه لم يحدث ما توقعه بل بالأحرى لم تثرولم يشهد انهيارها، أخبرها وانتهى الأمر.....

سار ليخرج من منزله بل من حياتهم جميعًا..... جلست منهارة، لا تصدق ما سمعته منه للتو، تزوج

«شـاهين»، وانتهـى الأمـر، تـزوج مـن أخـرى بعدمـا تحملـت منـه مـا لا يطيـق بـشر تحملـه، ولكنهـا تحملـت مـن أجـل أبنائهـا، تحملـت سُـكره وألفاظه البذيئـة، والآن بـكل دمٍ بـارد يـأتي ليخبرهـا بأنـه تـزوج مـن أخـرى، مـا زال صـدى كلماتـه تتكـرر في أذنهـا كأجـراس الكنيسـة؛

«تزوجـت أمـس يـا ليـلى..... وانتهـى مـا بيننـا وورقـة طلاقـك سـتصلك، قـد بـدأت في جميـع الإجـراءات.....»

"مـاذا فعلـت لتجـنني كل هـذا الألم الـذي لا يطـاق، اليـوم ذكـرى ميـلاد وليدهـا، وكانـت تنتظـره ليحتفلـوا معًـا، وهـا هـو جـاء بهديـة لا تُنـسى، تركهـا وتـرك أبنـاءه بـلا مأوى...شـعرت بـالأرض تمـد بها..شـعرت بحرقـة فى فؤادهـا.....

تسـير في الطرقـات، وتشـعر بتسـاقط في ضربـات قلبها، تحمـل رضيعتهـا بـذراع، والـذراع الآخـر تمسـك وليديهـا «سـيادة وحمـزة»، أكـثر مـا يكسرهـا بـأن الشـاهد عـلى مأسـاة تلـك الليلـة ومـا تليهـا مـن انهيـار منـذ شـهرين ربيبتهـا «سـيادة»،

يـا إلهـي؛ طفلـة لم تتعـد العـاشرة مـن عمرهـا، مـن يرهـا يشـعر بأنهـا عجـوز تحمـل الهـم عـلى رأسـها.....

منـذ تلـك الليلـة المأسـاوية لا تتحـدث، كل مـا تفعلـه تضـم شـقيقها «حمـزة»، وتهمـس بصـوت لا يُسـمع

-"سيكون كل شيء بخير"

وهـا هـي طفلتهـا تمسـك بيـد شـقيقها، وكأنمـا تمـد وتسـتمد منـه القـوة، وكأنهـا تخـشى عليـه مـن الضيـاع في وسـط هـذا الزحـام، أفاقـت مـن شرودهـا عندمـا رأت رجـلًا في الثلاثـين يرتـدي حُلـة سـوداء، اتجهـت لـه بصغارهـا وقالـت:

-"سيدي؛ متى سيصل قطار المتجه للصعيد؟

أجابهـا وهـو يتفحصهـا مـن أخمـص قدميهـا وصـولًا لحجابهـا غـير المحكـم، وركـز نظراتـه عـلى بـشرة عنقهـا ناصعـة البيـاض، ابتلـع ريقـه بصعوبـة، ورفـع عينيـه لحدقتيهـا، عندمـا سـمع تكـرار سـؤالها .

أجابها :

-سـيصل بعـد ثلاثـين دقيقـة يـا سـيدتي ..... ونظراتـه الوقحـة مازالـت تتفحصهـا، تمللـت في وقفتهـا، أمسـكت بيـد صغيرهـا، واتجهـت لاسـتراحة المسـافرين .

شعور غريب ذلك الذى يعتريها منذ مجيئها لمسقط رأسها .....وعلى الرغم من أنها توقعت الأسوأ ....توقعت أن يطردها ربما .....لا تعلم لماذا توقعت ذلك؟....

لكن الماضي الذى يُحيل بينها وبين أخويها هو ما جعلها تفكر ذلك، ولم تأت البلدة سوى مرة واحدة في عزاء شقيقها الأكبر..... وها هي تأتى للمرة الثانية، ولن تغادر أبدًا.....

على الرغم لم يحدث ما توقعته، وشقيقها استقبلها استقبالًا حارًا..... إلا أنها كانت تشعر بالخزي، وجرح في كرامتها يفوق الوصف..... لم تفق من شرودها إلا لتلبية نداء صغيرتها: «أمي..... أمي»

-ماذا هناك يا "سيادة" ؟

أجابتها فرح تبكي منذ وقت بعيد..... وأنت شاردة.

قامت، وولجت للغرفة، فزعت عندما اقتربت من الصغيرة، ووجدت وجهها محتقنًا بالحمرة، وضعت أناملها على جبهتها؛ لتشهق بقوة، وتهمس قائلة

الصغيرة تعاني من الحمى، ماذا تفعل لا تدري؟.

ظلت طوال الليل تضع «الكمدات»، لم تنخفض حرارتها، وبكاء الصغيرة يصم الآذان. لم تعرف ماذا تفعل؟ ابنتها ستضيع منها..... تركت الصغيرة، ووصت «سيادة» بأن ترعاها؛ لتصعد الأدراج، وخفقات قلبها تزداد..... ودموع حبيسة في عينيها تأبى أن تسقط؛ لتوضح ضعفها في هذه اللحظة.

استيقظ شقيقها على دقات الباب المتتالية، رافقها متأفف، لقد نغصت عليه راحته..... أخذ شقيقته للطبيب في البلدة، فأخبرهما بأن تغير المناخ أثر على الصغيرة، وكتب لها عدة أدوية.....

وها قد جاءت الليلة الثانية، وما زالت الصغيرة تعاني ليبزغ الفجر بألم جديد..... ويطعن الزمن الأم طعنة في صميم قلبها الذي يضخ الحياة من أجل صغارها.....

لتفقد أمام عينيها أغلى الأحبة إلى قلبها..... صرخت صرخة مداوية، وكأنما تريد إبعاد هاجس الموت عن فلذة كبدها..... شحوب وجه الصغيرة، وضعف صوتها، واختفاؤه

يوضح لها بأن الصغيرة تعاني من سكرات الموت..... والجسد المسجى أمامها بلا حول ولا قوة،

كان منذ ساعات يملأ المنزل بالصخب، وصوت ضحكاتها كسيفونية عذبة،

تلون دنياها..... هل ستعيش فقط لتفقد أمام عينيها أقرب الناس إلى قلبها؟،

إلى متى ستظل تعاني؟، سؤال سألته لذاتها؛ سؤالًا لم تجد له إجابة.....

بأي ذنبٍ تفقد ابنتها الحياة؟..... وهي صغيرة لم يتعد عمرها عامين، ماذا فعلت لتنال هذه العقوبة من القدر؟..... ولكنها نسيت أو تناست في رحلة هذا الألم بأن الله يقدم للعبد ما فيه الخير، وعليه حمد الله في السراء والضراء.

صرخات الصغيرين «سيادة وحمزة» زلزلت جدران المنزل عندما شهدوا وقوع أمهم في أرضية الغرفة، فاقدة للوعي كقماشة بالية، فاقدة لألوان الحياة، وسؤال «حمزة» الذي يتردد من بين صرخاته، هل ستموت أمي؟..... مثل «فرح».

ابتلعت جرعة الدواء بحرقة لا توازي حرقة قلبها المكلوم..... إنها تحترق من الداخل.

لا يوجد ألم مثل الألم الذي تشعر به، ألم يكسرها، ويحرقها بمياه من النار.

لا تصدق بأن صغيرتها التي تغمر المكان بالفرح ، جسدها توارى أسفل التراب..... عندما دفنت ابنتها شعرت وكأنهم بتروا جزء من جسدها بل من قلبها..... وكأن عند وفاتها توقف الزمن..... وتوقف نبض القلب،

رأتهم وهم يضعون التراب على جسدها حتى لو لم تبرح أريكتها.....

أمسكت أحبالها الصوتية؛ حتى لا تصرخ على قضاء الله، وها هو شقيقها يوصيها التحلي بالقوة من أجل الصغار.....

ماذا تعرف أنت يا أخي عن القوة؟، عن امرأة تعاني، و قد فقدت أسباب الحياة..... ماذا تعرف عن شعور أم تأتي إليها، وذرات التراب عالقة في حنايا ذراعيك التي دفنت بها فلذة كبدها؟...عن امرأة

لـو كان عمرهـا يقـاس بلحظـات السـعادة؛ لكتبـوا عـلى قبرهـا "ماتـت قبـل أن تولـد".... ولكننـي سـأقوى فقـط مـن أجـل الصغـار.

ومـرت الأيـام لتصبـح كالدميـة تتحـرك في أرجـاء المنـزل، ليسـدل الليـل سـتائره.

تضـم صغارهـا إلى صدرهـا؛ «عليكـم بالخلـود للنـوم يـا أحبـابي»

همسـت بهـا «ليـلى" بنـبرة موجوعـة. قـد مـر شـهر منـذ فـراق صغيرتهـا،

لم تـر ضـوء القمـر ولا وهـج الشـمس..... ابتلعـت ريقهـا بصمـت، وتمـددت بجوارهـما،

ليبـزغ فجـر جديـد يعطـى الأمـل للبعـض، وتقـوم فزعـة مـن كوابيسـها لتضـم «سـيادة وحمـزة»، وكأنهـا تحميهـم مـن مجهـول. في كل فجـر جديـد تعـاني بصمت، ونشـيجها يـزداد،

وقطـرات مـن العـرق تغمـر جبهتهـا، وتبتلـع غصـة فيهـا مريـرة في حلقهـا ..... لتزيـد مـن ضـم صغارهـا، خائفـة هـي خـوف المـوت، لا تعـرف المـرة القادمـة مـن

ستفقد؟، فبزوغ الفجر مرتبط بالفقد في عقلها.....

وجدت في النهاية عملًا بعد بحث وجهد يفوق قدراتها.....

فهي ليس لديها أي مؤهلات دراسية، ويجب عليها الآن العمل، وبذل قصارى جهدها؛ لتعول أسرتها، لا تريد أن تصبح عالة على شقيقها؛ لذلك غمرتها السعادة بعدما وجدت عملًا عاملة للنظافة في المدرسة.

على الرغم أن جهدها المبذول يفوق أجرها الزهيد، ولكن يكفي أنها لن تمد يديها للعون من أحد.....

منذ التحاقها بهذه المدرسة وزميلاتها لا يكفُفن عن إيذائها بطرق عدة،

لا تعرف ماذا فعلت لهم؟.

وكل هذا لأن الأساتذة يهتمون بها؛ لأن مستواها الدراسي متميز. كلما رأوا والدتها يشمتون، ولا يكفون عن الهمس واللمز فيما بينهم، وهي تقف مكتوفة الأيدي، وصلت لحجرة الدراسة،

مـا زال متبقيـا عـلى موعـد حصـة اللغـة العربيـة خمسـة عـشر دقيقـة، وأثنـاء شرودهـا..... انهالـت فـوق رأسـها كميـة هائلـة مـن القمامـة.....

وقفـت متسـعة العينـين بذهـول لهـذا الموقـف، وبعـض بواقـي الأطعمـة تعلـو خصـلات شـعرها.....

رفعـت «سـيادة» أناملهـا إلى ثغرهـا تكتـم شـهقتها المصدومـة، وهـي تهمـس «يـا إلهـي» لتقطـع همسـتها، وتسـتفيق مـن ذهولهـا عنـد سـماعها ضحـكات زميلاتهـا الثلاثـة وحديثهـن، لم تميـز منـه سـوى «عليـك بنـداء والدتـك»..... لتنظـف هـذه الفـوضى..... فكـما ترينـه متسـخا، وتمـلأه القـاذورات.

كانـت تحـاول بـكل جهدهـا تنظيـف كل هـذه القـاذورات مـن عـلى ملابسـها.....

وبواقـي الأطعمـة العالقـة بخصـلات شـعرها الأسـود.....

حيـث وجـدت السـبيل الوحيـد للدفـاع عـن نفسـها، ومنـع هـذه المهزلـة؛ ألا وهـو الهجـوم.....

أخذت عدة أنفاس متتالية لتحاول السيطرة على طاقة الغضب الجبارة التي بدأت تشتعل بداخلها، وتنظر بحرقة كل من حولها بلا أدنى استثناء.....

وما إن نجحت في التحكم في أعصابها، رفعت قدمها ذات الحذاء المهترئ؛ لتنزل بها بأقصى قوتها على أصابع قدم «سما» القابعة بجوارها، وما زالت تقهقه.....

لتشتعل عينان «سما» بالألم والغضب، وتصرخ بصوت متألم.....

إلا أن «سيادة» لم تهدأ، عاجلت زميلتها الأخرى بقرصة قوية في خصرها،

جعلتها تصرخ ألما، ولم تفك «سيادة» أصابعها القارصة كالثعبان إلا بعد أن عاجلت زميلتهم الثالثة «منى» بركلة قوية، فتركتهن حينها، وهي تنزل الأدراج.....

بينما أقدام الفتيات خلفها كان يرعبها، وهي تتخيل رميها من فوق السلالم.....

ستكون نهايتها حتمًا، مجرد حادث مأسوي

مـن سـقوطها عـلى الـدرج، ولا أحـد سـيدري بهـذه الجريمـة.....

وصلـت لاهثـة إلى مكتـب المديـر، ودلفـت بـدون اسـتئذان:

-"سـيدي، أريـد تقديـم شـكوى ضـد بعـض زميـلاتي لمضايقاتهـن ليَّ».....

نظـر لهـا المديـر نظـرة فاحصـة فعلـم بـأن الفتـاة تعـاني مـن مظهرهـا..... شـعرها المشـعث..... وبعـض القـاذورات عالقـة بملابسـها.....

وبعـد برهـة مـن الوقـت كان المديـر يسـتمع إلى شـكواها بصـبر..... ليصـدر قـرار في النهايـة بـأن عـلى «سـيادة» النقـل لحجـرة دراسـية أخـرى.....

وهددهم بالفصل لو تعرضن لها مرةً ثانية.....

هـذا الامـر لا يروقـن يـا سـيادة ..... لاحبـذ خلـق المشـاكل ..... بمـاذا أنـت فاعلـة؟.....

هـذا مـا نطقـت بـه ليـلى لابنتهـا؛ لتضـع النقـاط عـلى الحـروف .....

فهما ضيوف في هذه القرية، ولا يمكنهم سوى العيش بهدوء ..... فمنذ ما أرسل إليها المدير؛ ليقص ما حدث مع صغيرتها، وهى تغلي وتزبد يكفيها ما بها .....

ألا يكفي جرحها الغائر ... وألمها الواضح للعيان ... ولكن "سيادة» تعرفها جيدا، لم تحبذ يوما المشاكل فهي طفلة هادئة تخفي حزنها جيدا ....

لم تصدق يومًا أنها تفتعل المشكلات، وتضرب صديقاتها ..... دائمًا تحيرها الصغيرة .... منذ ثلاثة أشهر، وهى لا تحرك لسانها ....

اختارت الصمت مهربًا لها طيلة الوقت منذ وفاة شقيقتها .... لتعتقد أنها فقدت النطق وتعرضها على طبيب في المدينة المجاورة للبلدة التي يعيشون بها ... ويخبرها أنها في حالة صدمة، وستتعافى مع الوقت ....وبالفعل تعافت بعدها بصعوبة .....

أمي....لم أخطأ ....هن من تعرضن ليً ....ويعيروني...."

قطعت كلامها بماذا ستخبر والدتها؟ أتخبرها بأنها أصبحت تشكل لها خجلا في المدرسة؟.....

أهـذا جزاؤهـا على جهدهـا المبذول في رعايتهـم..... وفنـاء حياتهـا في خدمتهم.....»سـيادة.....عليكِ بالتعامل الجيـد مـع صديقاتـك .....ومـع الوقـت سـيعرفنك ويحببنـك.....»

أردفت بنبرةٍ صارمةٍ:

- "ً....."سيادة".....

"هـزت رأسـها علامـة للإيجـاب، وولجـت لغرفتهـا، ودمـوع تتـلألأ في مقلتيهـا.....

تعاقـب الليـل مـع النهـار .....والصيـف مـع الشـتاء ..... والربيـع مـع الخريف.....والسـنين تمـر مـر الريـاح ..... والأيـام رتيبـة عـلى البعـض ..... سـعيدة عـلى البعـض الآخـر.....

ولكـن الحيـاه مزيـج مـن الشـقاء والسـعادة .....ولكن شـقاءها سر سـعادة في الوجـود؛ فبسـبب الشـقاء نـدرك معنـى للسـعادة .....ومـرت سـنين لتصبـح "سـيادة" في آخـر مرحلـة للثانويـة العامـة .....متفوقـة كعادتهـا.... فتـاة شـابة....ذات جـمال آخاذ.....يسـلب العقـول، ويخطـف الألبـاب .....

و»حمـزة» في مرحلـة الأعداديـة؛ ليظهـر عليـه علامات مـن رجولة المبكـرة .....

مـرت عليهـم الايـام ببعـض مـن الاسـتقرار .....لتـأتي الريـاح بمـا لا تشـتهي السـفن .....وتسـقط «ليـلى" مريضـة صريعـة الفراش.....شـعور بالإعيـاء يراودهـا .....

وسـعال لا يفارقها.....وأكـثر مـا يؤلمهـا علامـات الذعـر المرتسـمة عـلى وجـوه صغارهـا.....

همسـت بداخلهـا "يـا إلهـي! كنـت أحلـم بالليلـة التـي أزف فيهـا «سـيادة»....

لرجـل يقدرهـا .....ويهيـم بهـا عشـقا ....وهـا هـو الـقدر يتربـص بهـا بالمرصـاد....

كنـت أحلـم أن أراكِ أنـت وشـقيقك في أعـلى المناصب؛ ليعـوض لكـم القـدر القليل مـن الشـقاء.....

تنهيـدة حـارة خرجـت مـن شـفتيها بـدون الشـعور بهـا.....

لتقـترب «سـيادة» وتضـم أمهـا لصدرها.....»أمـي ..... سـتكونين بخـير .....لـن يحـدث لـك شـيئا"

همست الأم بصوتٍ مكتومٍ:

"صغـيرتي .....لا تخـافي عـلي .....ولكـنـي أريـدك أن ترتـدي رداء الشـجاعة .....أريـدك قويـةً ...تواجهـين قدرك.....صغـيرتي ..أحلامـك هـي الطريـق الخفـي لتصلي لمسـتقبلك ...تشـبثي بهـا .....عليـكِ التقـدم مهـما كانـت الصعـاب التـي سـتواجهينها .....

وأشارت بأصابعها نحو قلبها، وأردفت بنبرةٍ ضعيفةٍ:

-"سـيادة.....عندما تضيـق عليـك السـبل ....اتبـعِ قلبـك ....اسـتفتيه وهـو يفتيـك".....

ماتـت الأم في ديسـمبر .....لتـترك قلبـين مكلومـين مـن الفـراق .....يتألمـان بطـرق شـتى ...

أغلـق الدفـتر الـوردي ...رافقهـا خـروج تنهيـدة حـارة مـن شـفتيه .....

لقـد ماتـت الأم أي عـذاب ينتظـر حبيبتـه وشـقيقها ...أخـذ نفسـا عميقـا وهـو شـارد في أول لقـاء جمعـه ب»سـيادة»

وصلـت للطابـق الأرضي ...تطلعـت للافتـة التـي

تحمل اسم الطوارئ ...أخذت نفسًا عميقًا وعادت تتطلع للورقة التى تحمل اسم المشرف المباشر عليها.....»ساجد القاسمي"، ابتسمت بسعادة، وتوجهت إلى الداخل ...فاليوم أول دوام في تدريبها ...كان المكان مزدحما ...هناك من يصرخ ...وطفل يبكى في ركن آخر....

ابتلعت ريقها وهى تشهق مبتعدة عن بعض المارة، والأطباء بالزي الأبيض يتراكضون من حولها، شعرت بالغضب من نظرات الجميع لشعرها ...

ورغمًا عنها توترت ... اتجهت إلى مكتب الضخم حيث يحتوى على العديد من الأطباء , رأت رجلًا ضخمًا يرتدي زي أزرق اللون.

يصدر الأوامر بصوت أجش، اتجهت إليه فورا

-مرحبًا ....

قالتها بصوت ضعيف مهزوز، التفت إليها، ونظر بشراسة، فاتسعت عيناها الزيتونية بذعر

وقالت بسرعة:

-"أريـد الدكتـور سـاجد القاسـمي ... لم يجبهـا أو يعيرهـا أدنى اهتـمام بـل نظـر إليهـا نظـرة قاتلـة، وأشـار بيديـه إلى زاويـة مـا ..

ومـن دون أي كلمـة أسرعـت «سـيادة « إلى حيـث أشـار الرجـل ..

وهـى تتـضرع إلى اللـه بـأن يمـر اليـوم مـرور الكـرام ...وصلـت للزاويـة حيـث أشـار الرجـل لتسـمع صراخ، وهنـاك رجـل يقبـع عـلى كـرسي متحـرك وأمامـه فتاتـان،

تنحنحـت بصـوت مسـموع؛ ليلتفتـا إليهـا، أنزلـت عينيهـا لبطاقتهـما المعلقتـين عـلى صـدر كل منهـما ..ماريـا وغـادة طبيبتـان إحداهـما للتخديـر، والأخـرى تحـت التدريـب..

لتسـتدير برأسـها للظهـر العريـض والجسـد الطويـل الـذي يجلـس عـلى كـرسي بعجـلات أمامـه جسـد رجـل مسـجى ...

وكادت عيناهـا أن تخـرج مـن محجريهـما حـين رأت الطبيـب منغمسًـا بخياطـة جـروح عميقـة بقـدم المصـاب، وبـكل بـرود يطلـب كأسًـا مـن القهـوة ..

وكادت أن تقفز بذعر حين رأت الطبيب رمى بأدوات الغرز على طبق حديدى، ونهض يأمر من اسمها غادة بأن تكمل إغلاق الجرح بالضماد ...

تسمرت فى مكانها وهو ينهض من الكرسى الصغير المتحرك بخفة لتلاحظ طوله المهول أمامها ..وضخامة بنيته ...لم تشعر في حياتها بما شعرت به الآن ..

ضعف يجتاحها من أخمص قدميها لشعر راسها ..شعرت بالثقل في قدميها، لا تستطيع الحراك..

بدا مسمرًا ..ينظر في وجهها ذي البشرة الخمرية الامعة ..وشعرها الحالك السواد منسدلًا على ظهرها ...وقدها ملفوف بفستان وردي يوضح رشاقتها..

وقف بلا حراك لم يقدر أن يفسر سر تلك الحرارة التي تجتاحه ..شعور بالألفة ..

وكأنه يعرفها منذ زمن طويل.. استسلم لمشاعره الغريبة التي راودته، ووقف ينظر لها حائرا...ليسدل أهدابه فقط للحظات ليخفي مشاعره ...

قبل أن يقول بصوت أجش :

-من تكونين ؟؟؟

هيئتها الغريبة عن أهل الصعيد شعرها المنسدل على ظهرها، وفستانها الفضفاض لم يخفِ منحنيات جسدها الأنثوي ...

صوته انتزعها من أفكارها المتلاطمة ...وجمودها ..

لم تقدر على الحديث، حركت ذراعها بضعف لترفع له ورقة الإشراف ..

انتزعها بحركة سريعة، ونظر إليها للحظات ..ليرفع عينيه إليها؛ ليتبين له لون عينيها الزيتونى النادر..

وبدون أي كلمة أشار لها بأن تتبعه ..أخذها إلى مكتب دائري زجاجي،

تسارعت أنفاسها وهى تراقب بنيته الضخمة التي اتسعها الكرسي، وكتفيه العريضتين ..وملامحه الحادة الجذابة ...

بسمرته الخفيفة، ليخطف أنفاسها للحظات ..لتشهق بقوة، لقد نسيت أن تتنفس

..قطع حبل أفكارها وهو يشير إليها نحو الكرسي، وقال

- اجلسى ..

جلست ليسألها عن اسمها لتقول هامسة " سيادة ....سيادة شاهين" ..

لم تغفل عيناها عن ذاك البريق في عينيه ..دوار انتابها وهو يعيد نطق حروف اسمها ..لا تعرف لما بدا اسمها غريبًا في هذه اللحظة ..طريقته في نطق اسمها غريبة ..بطيئة ....ساحرة.. .ومثيرة ...وكأنه يتغزل بها ..

-"غريب"...

سألته:

-ما هو الغريب؟ ....

قال لها:

- اسمك...غريب كمظهرك الجريء في أقصى الجنوب

نظـرت إليـه بغبـاء ..قفـزت مـن كرسـيها كـما قفـزت الدمـوع لمقلتيهـا؛ لتشـكل غلالـة مـن الدمـوع ....كلهـا ترتجـف مـن الغضـب ..نظـرت إلى رأسـه المتعجـرف ...

لتنظـر إلى عينيـه، وبـدون وعـي منهـا ...تعلقـت بهـما دون مقاومـة ..لم تـرَ فـي حياتهـا عينـين كهاتـين ..حدقتـان بلـون العسـل الصـافى تحيـط بهـما حلقتـان سـوداوان...

غضـب مـن نفسـه بشـدة؛ لأنـه تدخـل فى خصوصيتهـا ...الحـزن والألم الدفـين في عينيهـا، ظهـر للحظـة واحـدة؛ ليختفـي بعدهـا ...

أشـعل رجولتـه ..ليتنهـد بيـأس، ويعتـذر منهـا بـدون وعـي...

-"أعتذر لك ...."سيادة"...."

فغرت شفتيها بغباء، ليس لاعتذاره ...

بـل لنطقـه اسـمها بهـذه السـهولة، وكأنمـا ينطقـه منـذ نعومـة أظفارها...

جلست بعد اعتذاره الصريح .....ليوضح لها نظام العمل في المشفى....

دلف للمسجد شاب في الثلاثين من عمره ذو اللحية تميل للون الذهبي .....شديد بياض البشرة ....ذو عينين خضراوين كالزمرد اللامع .....

صلي وجلس في ركن من أركان المسجد، وبدأ يتلو القرآن بصوت رائع يحمل في طياته الخشوع التام ...

وزمردتيه لا تكف عن سكب الدموع....عند وصوله لآية

«واتقوا يومًا ترجعون فيه إلى الله»

جعل كل من في المسجد ينظر إليه بدهشة، ومنهم من اقترب إليه، فهو رجل ذو ملامح أجنبية، لا يخطئ فيها ضرير .....

-"من أين أنت يا بنى ؟؟؟"

سأله شيخ كبير .....فأجابه بصوت يغزوه ألم ....

-"إنني من دولة أجنبية تلقيت تعليمي في جامعة الأزهر .....وحصلت على درجة الدكتوراة في القضايا الفقهية المعاصرة .....»

وأردف الشيخ العجوز بنبرة حانية :

-وما جاء بك إلى هذه القرية ؟؟؟

أجابه بنبرة صادقة :

-"إنني أعمل على توزيع القوافل الغذائية والطبية للقرى النائية...في أقصى الصعيد.....»

-"إنك فتى رائع يا بنى .....ربنا يزيد من أمثالك.....»

جلس في فسحة الدار، ونار مشتعلة يستمد منها الدفء .....فالطقس يزداد برودة ....شارد في الفضاء المتسع أمامه ....لقد أصبح ذا مكانة مرموقة ..... وكلمة مسموعة في هذه البلدة ....فمنذ وصوله من شهرين يواصل الليل بالنهار في توازيع القوافل الطبية والغذائية ..

وأصبح إمامًا للمسجد .....

وفي المساء يجتمع عنده الشبان.....ليشرح لهم دروسًا فقهية .....أو مسائلَ في أمور الحياة ....

أخذ نفسًا عميقًا؛ ليدلف لمنزله الذي استأجره من أحد القرويين .....فهذا المنزل وجد به

ضالته .....فهو بعيد لحدٍ ما من منازل القرويين .....وأيضا ذو ردهة واسعة منها للسماء....يعطي بها دروسًا فقهية للشباب.

جلس على كرسي من الخشب الزان، وأمسك مجلد بعنوان «الجهاد في سبيل الله»....

بعد برهة وصل لسمعه أصواتٌ هامسةٌ ..... ليخرج، ويجد الفتيان قد أتوا ... وتجمعوا حول النار .....

-"السلام عليكم .....يا إخوتي في الله .....»

-"وعليكم السلام .....يا شيخنا....."

-"كيف حالكم ؟"

سألهم «محمد» بوجهٍ بشوشٍ تعلوه البسمة .....

وأردف

-«هل تم توزيع الأطعمة على قائمة المحتاجين؟"

-"بلى، يا سيدي .....أجابه "قاسم" بنبرة متحمسة،

-"عن ماذا الدرس اليوم يا شيخنا؟» سأله «علي" فتى في الثامنة من عمره.....

-"سنشرح قول الله عز وجل "يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى ....»

-لقد سألني أخوكم «علي «عن المعنى المقصود في هذه الآية ....

وسنوضحه كالآتي ...بأن الله سبحانه وتعالى لم يُحرم الخمر مرة واحدة....بل حرمه بالتدريج كمعظم الأحكام الشرعية ....

-"لماذا تم تدريج التحريم في بعض الأحكام الشرعية؟ «يا شيخنا....»

سأله أحد الجالسين....

ليجيبه بنبرة واثقة:

- اللـه (سـبحانه وتعـالى) كان يعلـمُ بصعوبـة الأمـر عـلى العـرب ,فقـد كانـت العـرب تتجـرع الخمـر كالمـاء في كل وقـت تشربه....فمـن الصعوبـة أن تحـرم مـرة واحـدة ..لذلـك حـرم عـلى مراحـل رأفـة بالعـرب حينذاك والقـرآن يصـف لنـا ذلـك ....

قـال تعـالى﴿ يَسْـأَلُونَكَ عَـنِ الْخَمْـرِ وَالْمَيْسِرِ قُـلْ فِيهِمَا إِثْـمٌ كَبِـيرٌ وَمَنَافِـعُ لِلنَّـاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْـبَرُ مِـنْ نَفْعِهِمَا ﴾

وهنـا اللـه عـز وجـل يخاطـب عقولهـم ويخبرهـم بـأن الخمـر لـه منافـع وأيضًـا أضرار....ولكـن أضرارهـا أكـبر مـن منافعهـا.. والمقصـد مـن المنافـع هي المكاسـب الماديـة فقـط.....

وبعـد ذلـك جـاءت الحادثـة الشـهيرة لسـيدنا «عـلي بـن أبي طالـب «، عندمـا صـلى بالنـاس إمامًـا وكان حينئـذ مخمـورًا .... خطـأ في سـورة «الكافـرون».....

لينـزل قـول اللـه تعـالى «يأيهـا الذيـن آمنـوا لا تقربـوا الصـلاة وأنتـم سـكارى حتـى تعلمـوا مـا تقولـون"

ليبتعـد النـاس عـن الخمـر عندمـا يحـين موعـد الصلاة ....ولكـن سـيدنا عمـر دعـا المـولى (عـز وجـل) لينـزل

بحكـم شـافٍ وكافٍ فـي الخمر.....لتنـزل آيـة تحريـم الخمـر...

انتهى الدرس، وانفض الجمع....

سـار "حمـزة " وصديقـه "كامـل " في الطريـق وهـما يتسـامران ....لقـد مـر وقـت طويـل، وحمـزة يحـضر دروس الإمـام الشـيخ «محمـد الصـادق» كـما يطلقـون عليـه أهـل البلـدة .....

ويعـود الفضـل لصديقه الوحيـد "كامـل" الآن "حمزة" في العشريـن مـن عمـره هـو وصديقـه الذى فقـد والديه، وتـربى في منـزل عمـه المجـاور لسـكن "حمـزة"، وهـو يشـعر بالشـفقة نحـوه لقسـوة زوجـة عمـه، والتفريـق بينـه وبـين أولادهـا ...

ضربـة خفيفـة عـلى إحـدى كتفيـه ليفيـق مـن شروده ...»بمـاذا تفكـر يـا رجـل ؟؟؟سـأله صديقـه باسـمًا .. "لا شيء وأردف مسـتفهمًا "ولكنـي أشـعر بـأن الشـيخ محمـد غريـب الأطـوار قليـلًا... ألا تشـعر بذلـك؟ !!

لمـاذا يـراودك هـذا الشـعور يـا حمـزة ؟؟ وقـف يلتقط أنفاسـه هـو وصديقـه ليسـتريحا تحـت نخلـة عاريـة؛

بسبب فصل الشتاء، ألم تشعر بأنه متطرف فكريًا؟؟

وأردف «أتذكر عندما كان يشرح لنا الأسبوع الماضي عن الحدود في الإسلام ؟؟؟

أومأ برأسه علامةً للإيجاب، وسأله هامسا ما بها؟؟

لقد كان متعصبًا، وحكم على الحاكم في البلدة بأنه كافرًا .... فكيف لدولة إسلامية تتعامل بقوانين بشرية.

وهناك حدود إلهية ...أليس بهذا يكون متعصبًا ومتطرفًا فكريًا ؟؟؟

ظل كامل يفكر في كلام صديقه، ولم يجبه .... ليكمل حمزة هامسًا "لا يحق للمرء أيًا من كان بأن يكفر مسلمًا ....

"معك حق " أجابه كامل، وأكمل لقد قرأت العديد من الكتب الفقهية « بأن المرء الذي يشهد بلا إله إلا الله ..لا يجوز تكفيره ...

قام علي وكامل يكمل سيرهما، لقد تأخر الوقت كثيرًا ..

سمعت صوت صرير الباب يفتح، تنفست الصعداء عند رؤية شقيقها سألته بقلق :

-"لماذا تأخرت يا حمزة ؟؟ كدت أموت قلقًا عليك.

تنهد بصمت وأجابها : كنت أحضر أحد الدروس الدينية كالعادة للشيخ محمد ....

وأكمل مبتعدا:

- تصبحين على خير يا سيادة .....

وقفت ساهمة لا تعرف ما أصاب شقيقها، لقد تغير جذريًا منذ وفاة والدتهما، تأملته وهو يبتعد ببطء، بعدما كان يحدثها عن تفاصيل حياته في الماضي أصبح الآن قليل الكلام ..

هل الحزن اغتصب شقيقها منها؟ ....

بالفعل وفاة أمهما كان صعبا على كليهما ....

لقد ترك شقيقها دراسته، وكان حينئذ في الإعدادية، ولم يعد لها مطلقا ....كما أنها هي تركت دراسة لمدة عامين ...

ولـولا طموحهـا الطاغـي لم تكـن لتعـود للدراسـة مـرة ثانيـة .....لقـد وصلـت لحالـة اللامبـالاة في حياتهـا ....

ولــولا شــقيقها لم تكــن عــلى قيــد الحيــاة إلى الآن ..مازالـت تتذكـر عملهـا المتواصـل في محـلات المنظفـات وغيرهـا؛ لتوفـير المـال لمسـتلزمات الحيـاة ....وشـقيقها التحـق بالعمـل فـي ورشـة تصليـح الدرجـات الناريـة.

لتبتســم لهــا الدنيــا أخــيرًا، وتلتحــق بكليــة الطــب .... زفــرت أنفاســها بقــوة ....أغمضــت عينيهــا تحــاول السـيطرة عـلى مشـاعرها ....لا تريـد أن تشـعر بالضعـف ...كل مـا مـرت بـه تسـتمد منـه القـوة ..

دقـات البـاب المتتاليـة أيقظتهـا مـن سـباتها في النـوم؛ لتتوثـب ببـطء، وتفتـح عينيهـا؛ لتزيـل الغطـاء، لتخـرج مـن الغرفـة، لتجـد شـقيقها فتـح البـاب للطـارق .....

سمعت صوت نغم الرقيق تقول :

-"صباح الخير يا حمزة ....كيف حالك ؟

ليبتعـد حمـزة عـن مرمـى البـاب، ويقطـع نظـرات اللهفـة المطلـة مـن عينـين نغـم،

وأجابها بصوت أجش

- «صباح النور ....الحمدالله ... كيف حالك أنتِ...؟

ردت عليه بنبرة حالمة

- "الحمد لله.....كيف حال عملك ...؟

لم يجبها بل همهم بكلمات غير مفهومة، و خرج مسرعًا.....

اقتربت سيادة من نغم؛ لتضمها إلى صدرها، وسألتها هامسة

-"كيف حالك يا نغم ...؟

-الحمد لله بخير.

أجابتها بهمس، وهى تجلس بجوارها على الأريكة:

-"سيادة"...ما به حمزة؟....أحواله لا تعجبني منذ فترة.

-ولا أنا .....

أجابتها سيادة، وهي تتنهد بألم .....

تعرف هي حق المعرفة عشق ابنة خالها لشقيقها

...فمنـذ الصغـر وهي تـرى في عينـين نغـم نظـرات الإعجـاب ...ابتسـامتها البلهـاء التـي تعلـو ثغرهـا كلـما رأتـه تفضحهـا .....قطـع شرودهـا سـؤال ابنـة خالهـا

متى ستستلمين عملك يا سيادة؟....

بعد أسبوعين ..... وأردفت سيادة سائلة:

-ماذا لا تريدين إكمال دراستك يا نغم؟

تنهـدت نغـم بصمـت، لا أحـد يفهمهـا بمـاذا تجيـب؟، أتقـول لهـا بأنهـا لـن تكمـل تعليمهـا لأجلـه؛ لتكـون في مسـتواه، ويصلـح ارتباطهـم ....

أخـذت نفسًـا عميقًـا ...وزفرتـه ..حزمـت أمرهـا لـن تجعلـه يحطـم أحلامهـا ...ستسـيطر عـلى مشـاعره .... وتجعلـه يتمـرغ في غرامهـا ...وستنسـيه كبريـاءه العتيـد ....

ستجعله.....

سـتجعله يعـترف بحبهـا .....مهـما هـرب وابتعـد.... تنهـدت، وهمسـت لسـيادة

-"إننـى لا أحـب فكـرة الدراسـة .....كـما أنـتِ تعلمـين...

وسـيادة تعلـم في صميـم قلبهـا مـا هـو الحائـل بينهـا وبـين دراستها...شـعرت سـيادة بالغضـب مـن شـقيقها، وهمسـت لنفسـها ....

-"سـتندم يـا حمـزة أشـد الندم....لـو خـسرت نغـم ...سـتندم...

قامـت نغـم، والبسـمة عـلى ثغرهـا، لتأخـذ بيـد سـيادة، وهـي تقـول :هيا يـا سـيادة ....لنصنـع المعجنات اللذيذة...التـى يحبهـا حمـزة ....

اتسـعت ابتسـامة سـيادة، وهـى تعلـم طيبـة ابنـة خالهـا وتتضرعـت لله بـان يجعلها مـن نصيـب حمـزة..

اليـوم عيـد الأضحـى المبـارك وقـد لاحـظ حمـزة خطـوات سـيادة الكثـيرة مـن حولـه....

منـذ مجـيء خالهـم وبعـض الجـيران للمعيـادة عليهـم بمناسـبة هـذا اليـوم المبـارك....

لا يعرف ما بها؟... ليسألها :

-"ماذا هناك؟ ....سيادة...

تأملها، وهي ترتعش، وتحدق إليه بشدة، ويملأ عينيها الغضب والتوتر .....ولكن كان خلفهم يكمن قلقها وخوفها الشديد عليه.....كانت غاضبة منه، وبشدة ...و لكن في أعماقها لم تكن غاضبة منه ..كانت تقف حائرة فوق حافة تصعد بها إلى قمة الفرح ...وتفصله هو عن هاوية الضياع ....وهي زواجه من نغم .....إنها تناسبه وبشدة ...

قطع شرودها نظرته الثاقبة، وهو يتفحص عينيها

-"نعم...هذا وما نطقت به .....ليعقد حاجبيه الكثين لذكر نغم أمامه ...

سهم أحمق بنار حامية، اشتعل في عينيه الخضراء..

الزمرد يشتعل وبشدة، أصابته نظرتها بالذعر؛ لتهتف :

-ماذا دهاك يا حمزة؟؟

أشاح وجه، ونهض من جوارها، وهتف بصوت مكتوم :

-لا شيء ... ولا أريد ذكر نغم ...أمامي مرة ثانية ...

لتصيح سيادة بغضب الفتاة تحبك بل تعشقك يا رجل ...

ليقطع كلماتها بنبرة غاضبة: وأنا لا أحبها .....ولا أشعر ناحيتها بشيء ....سواء شعور بالشفقة فقط ما يراودني نحوها ....أتعتقدين أنني أحمق؟ ....ولا أعرف سبب ترك ابنة خالك لدراستها ....ولكنني سأجيبك، إنني أعرف جيدًا ما تريده أن توازيني جهلًا؛ لنتوافق معًا....

خرج راكضًا نحو باب المنزل؛ ليصدم بجسد هزيل، ارتجف قلبه ....ورائحة فواحة تداعب أنفه رائحة الياسمين التي ترافقها أينما تذهب ....

تأمل ثوبها الحرير على رغم وسعه، لم يخفِ منحنيات جسدها ....أغمض عينيه وبقوة ...عند رؤيته اللؤلؤ المنثور على وجنتيها المحتقنة بحمرة الغضب ...

ترجئ قدميه بحمله من هذا المكان..لم يكن يريد أن يرى ضعفها ...

وتـرى خذلانـه لحبهـا ... ظـل يعـدو، وقلبـه يتمـزق أشـلاءً مثلهـا، ويعلـم اللـه بأنـه لم يحـب امـرأة كـما أحبهـا ...

ضمـت "سـيادة» ابنـة خالهـا المنهـارة، وهـي في حالـة ذهـول، وهمسـت :

-"سـامحك اللـه يـا أخـي ...مـاذا فعلـت هـذه المسـكينة لتتـجازى منـك بهـذا؟...

جلـس في حلقـة دروس الفقه في سـاحة المنـزل العارية المفتوحـة للسـماء الإمـام ""محمـد الصـادق"، وحولـه الفتيـان الـذي يبلـغ عددهـم خمسـة وعشريـن فتـى، وكلـما كانـوا يـزدادون هـؤلاء مـن القريـة غـير العـدد المأهـول الـذي يـدرس لـه الشـيخ مـن القـرى المجـاورة، كلـما كانـت تـزداد حلقـات الـدروس.....

تنهـد بضيـق، لقـد مـر شـهران منـذ ذلـك اليـوم الـذى جـرح فيـه نغـم؛ ليخـرج، ولم يعـد سـوى بعـد يومـين في منتصـف الليـل ..... ليجـد «سـيادة» بانتظـاره لتسـأله بنـبرة قاسـية عيناهـا تشـكو منـه إليـه، شـعر بالنـدم

في أعماقـه .....لم يكـن يتخيـل في أقـصى كوابيسـه بأنـه يجـرح ‘‘سـيادة’’ ويبكيهـا .....

ليقطع شروده همسها الأجش :

-مـاذا فعلـت «نغـم» تلـك المسـكينة؟....كل ذنبهـا أنهـا أحبتـك «.....

لتشهق بالبكاء، وتكمل:

-”هـل ورثـت قسـوة شـاهين؟.....فإنك ابـن أبيـك بالفعـل...»

رفع حمزة يديه وصفعها.....وقفت بذهول وحزن

ورفعـت ”سـيادة» أناملهـا؛ تتحسـس وجنتهـا السـاخنة مـن أثـر الصفعـة يعلـوه الاحمـرار، وهـو مـا دل عـلى شـدة الصفعـة.

فتركتـه وسـارت بسرعـة نحـو غرفتهـا، وأغلقتهـا بالمفتـاح.....

ظـل يطـرق عـلى البـاب، هـى لم تسـتجب؛ فقـد صفعهـا، وانتهـى الأمـر

وهـذه المـرة كان خطـؤه فادحًـا .....فقـد ظلـت سـيادة حبيسـة غرفتهـا طـوال الليلـة.

وفى الصبـاح خرجـت لزيـارة خالهـا في منزلـه، (نغـم) التـى علمـت فيـما بعـد بإصابتهـا بانهيـار عصبـي.

ووالدها جُنّ عليها.....

ولم يعرف أحد السبب.....

وعـادت "سـيادة»، ولم يخاطـب لسـانها لسـانه، فلقـد قطعـت كل الأواصر بينهـما

قطع شروده، وانتبه لحديث الشيخ

"إخـواني في الدين...سـنتحدث اليـوم عـن قضيـة هامـة جـدًا، وهـي:. قتـل غـير المسـلم أو الأصـح الجهـاد في سـبيل اللـه "سـبحانه وتعـالى" سـنتناول هـذه القضيـة مـن خـلال القـرآن الكريـم .....وليـس بـكلام مـن البـشر بـل العفـو كلام خالـق البـشر..

وأردف بصوت أجش

و الآيات التالية تحرض على قتل الكفار وأهل الكتاب، قال تعالى:

١:قال تعالى:

﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾ (البقرة "191")

٢-قال تعالى :

﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ (البقرة"193")

٣:قال تعالى:

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة ٢١٦)

٤: قال تعالى:

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (البقرة ٢١٧)

٥: قال تعالى :

﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة ٢٤٤).

٦: قال تعالى :

﴿فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾(النساء 74)

٧: قال تعالى :

﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ (النساء ٧٦)

٨: قال تعالى:

﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا﴾(النساء 84)

٩: قال تعالى:

﴿ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾(النساء 89)

١٠: قال تعالى أيضًا:

﴿ وَإِن نَّكَثُوا أَيْمَانَهُم مِّن بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ﴾(التوبة ١٢)

١١: قال تعالى:

﴿ قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ﴾ (التوبة ١٤)

١٢: قال تعالي:

﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾(الأنفال ٣٩)

وهناك العديد من الآيات يا إخوتي في الإيمان تحرض على قتل الكافرين ....لنأخذ بثأرنا منهم لإخواننا في فلسطين ... والأقلية في بلاد "(الكفارة الغرب، إنهم يعانون ..... ويتعذبون... ... ألم تشهدوا المجزرة التي حدثت لإخواننا في الشيشان ..... والبوسنة؟؟

آلاف بل الملايين يقتلون ...

وعرضنا يغتصب ..... بأي ذنب يقتلون؟ .... فقط

لأنهم يقولون لا إله إلا الله، ونحن في بلادنا نبني الكنائس، ونشيد لهم العمارة .....

وهم يقتلون إخواننا، ويغتصبون نساءنا ..... بأي حق؟..... يعيشون على أرضنا، وينهبون من ثمارها .....بل يجب علينا قتلهم وتشريدهم ..... كما ذكر في القرآن، فإنهم أعداء الله.....ومن يكن عدو الله ...فهو عدونا

وأقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم .

وما هو واجبنا؟ ...يا شيخ محمد .....قل لنا ما يجب علينا فعله؟

هتف بها كامل؛ ليجيب بنبرة هامسة:

"واجبنا الانتقام من أعداء الإسلام....والانتقام لإخواننا في بلاد الكفرة .....

ليهتف رجل بنبرة غاضبة «كيف .....؟ومتى...؟

أجابه:»قريبًا».....في القريب العاجل.

وعند هذا الحد انتهت حلقة الدرس الفقهي .....

أخذ يبحث عنها في أرجاء المنزل، ولم يجدها خرج مسرعًا نحو منزل خاله الذي يعلو شقتهم، ولكن مدخل الباب من جهة أخرى .

طرق الباب، ووقف منتظرًا؛ ليفتح له خاله مرحبًا به للدخول.....

دلف إلى المنزل، وما زالت عيناه تبحث عنها في أرجاء المنزل.

وأخـيرًا وقعـت عينـاه عليهـا «بمامتـه الرقيقـة"، تأملها باهتـمام بائـن في عينيـه، فالتفتـت برأسـها نحـو ماتحـدق فيـه "سـيادة»، فوجـدت «حمـزة شـاهين» يقـف أمامهـا بشـموخه المعتـاد...

اقترب حمزة ببطء، ومازال يتفحصها بعينيه،

وسألها بهدوء :

-كيف حالك يا ابنة الخال؟

-"بخير"

أجابتـه بصـوت رقيـق، وهـى تتحـاشى النظـر نحـوه، ومازالـت كلماتـه الناريـة تـتردد في عقلهـا .... لتتجمـع الدمـوع في عينيهـا؛ لتمنعهـا بـكل قوتهـا مـن السـقوط أمـام ظالمهـا....

شعر بها في هذه اللحظة، وعلم ما يدور في عقلها..

ليشعر بغصة فـي حلقه، والمرارة في قلبه .....

-"هيا بنا يا "سيادة"، لقد تأخر الوقت كثيرًا «

واسـتدار نحـو خالـه؛ ليسـتأذن بالمغـادرة ليخـرج

مسرعًـا ..تـاركًا قلبًـا ينـزف مـن جفائـه،

ودعـت "سـيادة» خالهـا وزوجتـه، وضمـت نغـم لصدرهـا .....لتهمـس في أذنهـا قائلـة

-"حبيبتـي ارتـدي رداء الصـبر، أقسـم لـك أن حمـزة يهيـم بـكِ عشـقًا «

اومأت برأسها، ولم تنطق ببنت شفة.

خرجـت "سـيادة» لشـقيقها، أمـا بداخـل المنـزل نـادى "قاسـم" ابنتـه قبـل دخولهـا لكهفهـا الدائـم، وأشـار بكفـه نحـو الأريكـة؛ لتجلـس بجـواره.

جلسـت "نغـم"، وخفقـات قلبهـا تـزداد، وتتسـائل في نفسـها: هـل لاحـظ والدهـا مـا تكنـه لابـن عمتهـا؟

ليقطع شرودها سؤال والدها:

- ماذا هناك يا نغم ؟؟ أحوالك لا تعجبني.!

زاد ارتبـاك نغـم، وتوتـرت كثـيرًا؛ ليزيـد الطـين بلـة، وجعلهـا تتلعثـم قـال والدهـا :

- «ما الذى بينك وبين حمزة؟ "

حاولت أن تضبط أنفاسها المتوترة، وأغمضت عينيها في حرج، بينما تأملها والدها بنظرات ثاقبة؛ ليفهم ما يريد من دون حديث،

بماذا تخبر والدها؟

أتخبره بأنها تحب حمزة، وتهيم شوقًا به في كل لحظة ؟ وكم تود أن ترى في عينيه شغفًا حقيقيًا بها؟

خجلت من نحو أفكارها؛ لتعض على طرف شفتها، وتتدرج وجنتاها بالحمرة؛ ليدرك والدها خجلها الفطري منه؛ ليضمها إلى صدره، ويربت على كتفها

-بنيتي : مازال حمزة مضطربًا، لا يعرف ماذا يريد؟ ظروفه القاسية تكسره في صميم رجولته، وأنا أخشى عليكِ، فأنتِ وحيدتي.

قبلت جبهته قبلة رقيقة، وهمست في أذنه: لا تخف علي يا نور عين نغم، لن يقدم الله لي سوى كل الخير»

ضمها لحضنه مرة ثانية، وهو يتمنى من الله ذلك، يعرف أنه دلل نغم كثيرًا على غير عادة أهل الصعيد، ولكنها ستظل ابنته الوحيدة، ولن يتحمل

حزنها، ولو للحظة، وهو يثق في حمزة، فحمزة رجلٌ، وليس بفتى طائش .

❁❁❁❁❁❁

زفرت "سيادة" أنفاسها بضيق، وهى تدلف للمشفى، قائلة بغضب:

-"ذلك الأحمق، الأبله، المعقد، فكرت بالكثير والكثير من الألفاظ التي تناسبه،

والتي ستكون لائقة على مزاجه المتغير، جلست على الأريكة في استراحة المشفى؛ لتلتقط أنفاسها.

لتتسع عيناها بذعر عندما لمحت من يشاركها الأريكة بملابسه السوداء الغامضة، أشاحت بوجهها عنه، ولكن من المستحيل أن يتركها لحالها . والشعور بالدفء يتسرب إليها، رأت كفه الضخمة التي تستند على حافة الأريكة بجانبها؛ لتبتلع ريقها بصعوبة، وتجتاحها رائحة عطرة إلى خلايا أنفها.

شعرت بالاضطراب وهو يقرب وجهه منها، لترفع عينيها، ويا ليتها لم تفعل، لتأسرها لون عينيه مرة

أخـرى .

قال لها بصوت كفحيح الأفعى:

-ماذا تفعلين هنا؟

-"وصلتُ للتو"..

-ألم أخـبرك بالأمـس أن تنهـي فحـص الملفـات عـلى مكتبـي ؟

لتجيبـه بنـبرة ضعيفـة عـلى الرغـم أن إرادتهـا قويـة صلبـة.

-"سـأعطيكِ سـاعة واحـدة، لتنهـي هـذه الملفـات يـا آنسـة، كان صوتـه هادئًـا خافتًـا، .....يوضـح ثقتـه الكبـيرة بنفسـه

ابتلعت ريقها بصعوبة، وأومأت برأسها.

أضاف بهدوء،

-انهضي حالًا، ولا تتأخري

أغمضت عينيها؛ لتخفي ارتجافتها منه.

الغضب الذي يحرقها بماذا هو فاعل بحق الله؟؟؟

أجاءت تعمل على فحص ملفاته التي لا تنتهى؟ أم للتدرب على الجراحة ؟؟؟

ليقطع شرودها صوت حفيف ملابسه، وهو ينهض؛ لتتنفس الصعداء، وتنهض.

قاربت الشمس على الغروب لتنهض من على تلك الملفات التي انتهت منها.

أخذت نفسًا عميقًا ...لتزفره بحرارة ..شعرت بألم في ساقيها، وعمودها الفقري

-"تبًا لك أيها الجلمود القاسي"

همست بها مع نفسها، وهى تتذكر مشرفها وأوامره التي لا تنتهي ونظراته المشاكسة الغريبة.

دلفت المكتب فرأته جالسًا على كرسيه الجلدي، نظرت له نظرة جادة، وهى تخفي اضطرابها الذي يلاحقها في وجوده، وقالت

- «لقد انتهيت من الملفات التي طلبتها مني".

نظـر إليهـا نظـرة ثاقبـة لبنطالهـا الأسـود الضيـق الـذي يوضـح معـالم سـاقيها الطويلتـين، ويعلـوه قميـص وردي اللـون، وسـترة سـوداء تعطيهـا أناقـة مختلفـة،

ليتطلـع بنظراتـه لوجههـا الخـالي مـن مسـاحيق التجميـل إلا ملمـع لشـفتيها الورديتـين، وكحـل يوضـح جـمال عينيهـا .

أخذ نفسًا عميقًا؛ ليزفره.

وهـذه الفتـاة تخرجنـي عـن طـوري الطبيعـي الهـادئ، وتخـرج مـا لم يكـن في الحسـبان، فتـح عينيـه ببـطء، وهو يقـول بصـوت أجـش :مـاذا تفعلـين حتـى هذه السـاعة؟

نظرت إليه بحنق، وقالت غاضبة :

-"كنـت أنـهي مـا طلبتـه منـي ...أليـس هـذا مـا طلبتـه ؟

نظر في معصمه، وقال:

-إنهـا السادسـة بحـق اللـه، كان يجـب أن تنهـي عملك في الثالثـة، وتعوديـن لمنزلـك، لقـد تأخـر الوقـت كثيرًا !

ليردف، وهو يضم حاجبيه الكثيفين :

-أليس عندك أدنى مسؤلية؟ أتوجد فتاة تعود لمنزلها ليلًا؟

عقدت ذراعيها أمام صدرها بغضب من كلماته النارية، ونظرت له وهى تردد في أعماقها: هذا الرجل يجعلني دائمًا على حافة الجنون.

شعرت بغصة في حلقها، ولكنها لم تبال، وقالت ببرود عكس العاصفة التي بداخلها :

-أنا جئت إلى هنا؛ لأتدرب، وليس لأنكب على فحص ملفات المرضى،أنا لا أعرف أي اسم لتصرفاتك... غير أنك متعنت ..ذو وجه صخري

نهض ببطء يواجهها بعد كلماتها النارية المهينة،

هي بقدها الرشيق المنحوت كتمثال إغريقي، وهو بطوله المهول وجسده الضخم يتحدون بعضهم لتتراجع عدة خطوات إلى الخلف، وترفع رأسها بتحدٍ إلى عينيه على الرغم من الذعر الذي تشعر به، قال لها ببرود وبلكنة إنجليزية واضحة:

أنتِ هنا لتنفذي أوامري، إذا أردتك أن تتعلمي سأعلمك، ولا تفكري بعصي أوامري ليردف بسخرية:...

-هل فهمتِ؟

-سأشكوك،

صرخت بها بقوة.

ليقهقه عاليًا، ولم يجب، واقترب منها؛ ليشرف عليها بطوله المهول؛ ليشعر بنار تجتاحه، افعلي ما تريدين عزيزتي اشكوني كما تشاءين.

-"أنت متعسف» قالتها بصراخ،

ارتعشت عضلة واحدة من فكه، وأظلمت عيناه بقوة قبل أن يقبض على أنامله بكفه حتى ابيضت مفاصله، يحاول جاهدًا أن يسيطر على غضبه المتصاعد.

ليهمس بصوت مكتوم من الغضب :

-غادري.

استدرات عنه بذعر؛ لتهرب من عرين الأسد الهائج.

لقـد أخطـأت فيـه، وهـي تعلـم ليكـشر عـن أنيابـه، وهـي أول مـن سيسـحقها،

وقبل أن تغلق الباب، سمعته يقول بسخرية

-أريـدك غـدًا هنـا في الثامنـة بالتـمام .....أنـا لا أتهـاون في التأخـير .....

وصلـت للمنـزل متأخـرة؛ لتجـد شـقيقها بانتظارهـا، يتصفـح في مجلـة، وهـا هـي أمـام متعنـت آخـر، لا تـدري مـاذا بهـا نغـم؟؛ ليرفـض الوصـال بهـا، وقـد اسـتقر في عملـه، وورشـة تصليـح الدراجـات الناريـة تـدر عليـه مبلغًـا جيـدًا مـن المـال.

مـا زالـت تتذكـر ذلـك اليـوم يـوم "عيـد الأضحـى "، عندمـا عـاد في المسـاء لم يكـن يكـف عـن السـؤال عنهـا عـلى الرغـم أنهـا لم تكـن تحدثـه، إلا إنهـا كانـت تبلغـه بحـال نغـم حينهـا بذلـك الوقـت، ورفضهـا لـكل مباهـج الحيـاة، فينفطـر قلبـه أكـثر حزنـا، وتـزداد علامـات الألم عـلى ملامـح وجهـه؛ لتتأكـد في هـذه اللحظـة فقـط بـأن حمـزة يـذوب حبًـا بنغـم، كان يصيـح بهـا، ويقـول:.

-أرغميها على تناول الطعام يا سيادة، لا تتركيها تستسلم للموت من أجل هراء، ويردف بألم: سيادة، إنك كشقيقتها؛ لذلك لا تبخلي عليها بالنصائح؛ واهتمي بها من أجلي؛ لتشعر سيادة في هذه اللحظة بضروبٍ من الألم لأجله، ألهذه الدرجة يحبها، ويرفض الوصال، لماذا يا حمزة؟ لماذا تعذب نفسك ؟

ليقطع شرودها صوت حمزة قائلًا:

-حمدًا لله على سلامتك....لماذا تأخرتي هكذا؟ آذان العشاء على مشارفه، لتتذكر سيادة مشرفها الوغد « لقد تأخرت في العمل على أوراق هامة، ولن تتكرر مرة ثانية،

لتجلس بجواره تسأله:

-هل تناولت الطعام أم أجهز لنا سويًا؟

❁❁❁❁❁❁

مرت ستة أشهر منذ عملها في المشفى تحت إشراف «ساجد القاسمي" غريب الأطوار منذ ذاك اليوم الذي احتدم فيه النقاش بينهم، وطلب منها

أن تـأتي مبكـرًا، وهـو يعاملهـا بـبرود ورسـمية أكـثر مـن ذي قبـل، وقـرر تدريبهـا عـلى العمليـات الجراحيـة، وهي الآن أصبحـت تتقـدم في خبرتهـا، لا تنكـر أبـدًا بأنـه ذو خـبرة نـادرة عـلى الرغـم مـن صغـر سـنه، وهـذه الخـبرة أفادتهـا بشـدة.

رأتـه متقدمًـا مـن بعيـد، ليخفـق قلبهـا، وتـزداد وتـيرة أنفاسـها، ولا تعـرف السـبب، راقبـت اقترابـه منهـا بقلـب خافـق، وهـو يجلـس عـلى الأريكـة بجوارهـا أشـاحت بوجههـا؛ لتبعـد عـن مرمـى نظـره، تتأمـل السـماء مـن نافـذة الغرفـة نظـر إليهـا بابتسـامة كفهـد سـينقض عـلى فريسـته، وقـال سـؤاله دفعـة واحـدة، وكأنـه يخـشى أن يتراجـع :

-"هل تتزوجينى ؟"

اتسـعت عيناهـا بقـوة، وتصلبـت أصابعهـا عـلى تنورتهـا القصـيرة إلى حـد مـا ....تسـارعت وتـيرة أنفاسـها، ولم تجـب ..لم تسـتطع أن تنطـق ببنـت شـفة...لقد تفاجـأت ..تشـعر أنهـا تهـذي أو تتخيـل.

لا يـزالان يجلسـان هـي تنظـر نحـو نافـذة تتأمـل السـماء ...وهـو ينتظـر إجابـة لسـؤاله عـلى موقـد مـن

نـار.. ومـا زالـت عينـاه معلقتـين بجسـدها...لا يعـرف لمـاذا اختارهـا هـي مـن دون النسـاء الـلاتي قابلهـن، وعرفهـن في حياتـه..

لم يكـن يومًـا ممـن ينجـذب لجـمال المـرأة ..بـل مـا يجذبـه في المـرأة أخلاقهـا، وتمسـكها بدينهـا، وعـادات مجتمعها...لتصلـح أن تكـون زوجتـه...

وسـيادة لم تكـن يومًـا مـن خصالهـا تلـك الصفـات ..بـل بالنسـبة لهـا كل هـذا تراهـات، وهـو أول مـن يشـهد بذلـك ...إنـه حائـر بـين أروقـة قلبـه وعقلـه،

فقلبـه خالـف، واختـار امـراة لا تصلـح لـه امـرأة ترمـي بالعـادات وتقاليـد في أقـرب صنـدوق قـاذورات... لم تتمسـك بقيـد أنملـة بتعليـم دينهـا... وتركـت العنـان لتعليـم عقلهـا..

تأمـل ملابسـها التـي لا تصلـح لفتـاة مـن الصعيـد إطلاقًـا حتـى لوعذرهـا أنهـا فتاة ولـدت في أقـصى المدينة، ولا تمـت بصلـة للقريـة سـوى أن والدتهـا مسـقط رأسـها منهـا...

غـير خصـلات شـعرها المنسـدلة التـي تخالـف كل قوانـين البشريـة...

تنهـد بصمـت: مـاذا يفعـل؟ إنـه يحبهـا منـذ رآهـا أول مـرة، ووقعـت عينـاه في حدقتيهـا الزيتونيـة.. وهـو علـم بـأن هنـاك شـيئًا بداخلـه تغـير ...ومـا هـو؟؟ لا يعلـم...

اسـتمر تأملهـا للسـماء... وكأنهـا لم تسـمع سـؤاله.. لولا رعشـة جسـدها عنـد سـؤاله، ...لخـشي أنهـا لم تسـمعه ..لظـن أن سـؤاله تبخـر مـع هـواء الظهـيرة الحـار.

لم يعـد قـادرًا عـلى تحمـل الصمـت، لينهـض مـن مكانـه، ووقـف أمامهـا ..

شـهقت بذعـر، لم تلاحـظ حركتـه ..مـضى ينظـر لهـا بطولـه المهول...وجسـده الضخـم .. وحدقتيـه فى عينيهـا ليسـألها:» لمـاذا لا تجاوبـين؟؟»

خفقـات قلبهـا لا تـزال تخفـق بعنـف ..وأنفاسـها اللاهثـة توضـح أنهـا تفاجـأت مـن طلبـه... أسـدلت أهدابهـا ...وعضـت عـلى طـرف شـفتها السـفلي ...ووجنتهـا تتـضرج بالحمـرة ...فالموقـف محـرج لهـا...

حتى لوكان من تقدم لخطبتها "هذا المتعسف".

شعر برجفة في قلبه ..لو كان أحبها في السابق بقوتها وعنفوانها ..فالآن وقع في حبها آلاف المرات في هذه اللحظة عندما رأى حمرة الخجل تضرج وجنتها

همس في نفسه :

-رائعة أنتِ «سيادة في كل أحوالك...

سألته هامسة :

-لماذا... لماذا تريد الزواج مني ؟؟؟

اتسعت عيناه وهو يواجهها، ونظر لها بتمعن ثم قال :

-ألا تعرفين؟

بادلته نظرات.....رأت في عينيه عاطفة لأول مرة يسمح لها أن تظهر.....عاطفة قوية وجياشة مصبوغة بحنان.....ليخفق قلبها بقوة.....

لتسأل نفسها:

-أيعقل.....أنه يكنّ لها مشاعر خاصة، وهو أول

مـن يحتقـر..... مظهرهـا الخارجـي.....

لم تجبـه، ولم يحصـل عـلى إجابـة..... بـل نهضـت بصمت.....وخرجت....ليقـف مذهـولًا بـلا حـراك....

هـل طلبهـا بالفعـل للـزواج؟ وهـى لم تجبـه بالقبـول أو الرفض.....أغمـض عينيـه بقـوة هـل بالفعـل سـترفض؟

بعـد هـذه المشـاعر القويـة التـى تجيـش في فـؤاده.... يـا إلهـي شـعور حـارق مـن داخله....يحرقه....ويكويـه.... يحبهـا عـلى الرغـم مـن مظهرهـا، ولكنـه سـيغيرها..... سـيجعلها أنثـى قابلـة للتغيـير.....

مسـتلقية عـلى فراشـها بصمـت.... منـذ يومـين لم تذهـب إلى المستشـفى.....منذ طلبـه المباشر.....وهي لا تسـتطيع أن تـرى وجهه.....بمـاذا تجيبـه؟ لا تعـرف ..... أتوافـق أم ترفض؟.....وكيـف سـتوافق وهي لا تعـرف

لمـاذا سـيتزوجها هـي دون غيرها؟.....هـل هـي حمقـاء لا تعـرف جميـع النسـاء الـلاتي تحيـط حياتـه..... ومشـاعرهن الحمقـاء نحوه.....وجميعهـم بـلا أدنى اسـتثناء يتوافقـن معـه .....أغمضـت عينيهـا عـن هـذا الهاجس.....وهـي تـرى صـورة سـاجد وهـو يضـم

إحداهـن أو ينظـر لهـا كـما نظـر إليهـا في آخـر لقـاء .....
يـا إلهـي أخـذت نفسًـا طويـلًا

.....وزفرته.....مـا بهـا ....يتـزوج مـن يتزوجهـا .....
وهـو لا يعنيهـا في شيء..... هـو لا يكـون أكـثر من مشرف عليهـا فـي العمـل، وسـتنتهي مـدة تدريبها.....ولـن تـراه مـرة ثانيـة ..... قطـع شرودهـا دقـات بـاب الحجـرة .... لترتـدي مئزرهـا عـلى ملابـس نومهـا .....

وقالت بهمس:

-ادخل يا حمزة

فتح الباب، ودلف خالها، وقال :

-"أتسمحين لي سيادة..

-"تفضل خالي...

جلس بجوارها على الفراش، وهمس بحنان:

-"هنـاك مـن طلـب يـدك للـزواج ..منـذ يومـين ..وسـألنا عنـه أنـا وشـقيقك لنجـده أكـثر مـن رائـع ..وأنـا موافـق.....

امتقـع وجـه سـيادة، وهربـت حدقتاهـا مـن عينـين خالهـا المتفحصـة .....هـل سـتبتعد عـن سـاجد بهـذه السرعـة؟ ...تنهـدت بصمـت وهي تعلـم جيـدًا بأنـه ليـس لهـا منـذ البداية...التقطـت أنفاسـها وهـى تفكـر أنهـا عليهـا الآن أن تقابـل هـذا الرجـل...

مـن أجـل شـقيقها وخالهـا.. أومـأت برأسـها للإيجـاب ...لتنفـرج أسـارير خالهـا..

غـيرت ثيابهـا، وارتـدت فسـتانًا صيفيًـا بلـون سـماء زرقـاء ..كان ملائمًـا لهـا للغايـة؛ ليوضـح قوامهـا الممشـوق.. وتركـت العنـان لخصـلات شـعرها ..ولم تضـع زينـة لوجههـا سـوى كحـل أسـود لعينيهـا؛ ليزيدهـا فتنة، وملمـع شـفاة ..

كانت كحورية خارجة للتو من الماء....

دلفـت للغرفـة؛ لتتفاجـأ بالجالـس بجـوار خالهـا، ويتحـدث بـكل أريحيـة، وكأنـه ولـد، وترعـرع هنـا منـذ نعومـة أظافـره ...كان آخـر مـن تخيلـت أن تـراه في هـذه الليلـة ..

وكأنما لقاؤه ضرب من ضروب الخيال...أشار خالها نحو كرسي بجوار الأريكة؛ لتجلس عليه ..

عندما طلت عليه بهذه الطلة ..خطفت أنفاسه.. كانت كأميرة خرجت من كتب الأساطير ..جعلته يضيع ويضيع في أروقة عشقها..

لتجعل كل كلمات الحب والعشق قليلة على ما يجيش في صدره من مشاعر.. وبعد دقائق معدودة سمعت خالها يقول : سأترككما ..ليتعرف كل منكما على الآخر .. همست متلعثمة وهى تشعر بثقل في لسانها من مفاجأة:

-"أأنت؟ ..ماذا جاء بك هنا؟؟

همس لها بعمق عاطفته :»جئت؛ لأتزوجك من خالك سيادة ..كما هي العادة.

ليردف بهمس أجش، ويخطف أنفاسها بكلماته الحالمة:

- «أحبك ...أحبك كما لم أحب امرأة سواكِ ...وأريد الزواج منك.. ماذا عنك أنتِ سيادة؟؟

اتسعت عيناها بذهول هذه المرة.. وتفجرت بداخلها الكثير والكثير من تحذيرات ...لا تصدقيه «سيادة» إياك أن تصدقيه ..ولكن نظرة عينيه جعلت قلبها يخفق بعنفوان ..وفراشات رقيقة تعبث في فؤادها ..برفرفة ناعمة ..ورقيقة ..لتَصْدُق عيناه اللتان حملتا ..نظرة قوية ..صادقة.. أما هو فقد جف حلقه وهو ينتظر ردها ..

وتفننت هي بتعذيبه في بحور عشقها بسلاح الانتظار..لتهمس بحيرة:

-"ولماذا أنا؟؟"

أخذ نفسًا طويلًا ..وزفره ..وتسأله لماذا أنا؟ وهل هو يعلم ؟؟ لو كان يعلم لمنع نفسه منذ زمن الوقوع في بحور حبها...تنهد بصمت، وقال:

-"وماذا تظنين سيادة؟؟بعدما قلته لك.....

ليلتقط أنفاسه، ويردف «سأقول لكِ مرة ثانية ..أحبك ولولا حبي لكِ لم ولن أفكر يومًا بأن أتزوج مثلك سيادة .....

اتسعت عيناها بغضب وشرر يتطير منها ..ها هو للمرة الثانية يستحقرها ... ويخبرها بأنه يحبها.. كيف يجتمع هذا مع ذاك؟! ...

عندما رأى سهمًا مشتعلًا في مآقيها، قال بندم

-«أنتِ تعلمين حق اليقين، بأنك مختلفة كليًا عني ...وهذا لا ينقص منكِ شيئًا ..بل يزيدك سيادة ..رقتك الفطرية ستزيدني لطفًا ...بدلًا من غلظتي وخشونة معاملتي ... انا أحتاجك في حياتي ...وأنتِ أيضًا في حاجة إلي ...

زاد غضبها عن الحد من ثقته المفرطة في نفسه.. وواصل حديثه بنبرة واثقة «سأغيركِ يا سيادة هذه الخصلات المنسدلة ...لا يحق لأحد أن يراها سواي..

وهذا الرداء غير مسموح ارتداؤه مرة أخرى ..سوى في بيتي وأمامي،

صاحت بغضب :

-ما الذي سيجعلني أوافق على تلك المهزلة ..تريد تغييري جذريًا ..لن أتغير فتغييري من المحال يا ساجد إن كنت تريدني أقبلني كما أنا ....

أو اختار أخرى تسير على هواك وقوانينك..

تنهد بغضب كان يعلم بأن الأمر سيؤدي في نهاية المطاف للعناد ..

همس بصوت متحشرج :

-ستوافقين ...ستوافقين يا سيادة... أما أمر تغيرك اتركيه للزمن، فلكل حادث حديث ..وسأقول لكِ للمرة المائة ..أريدكِ أنتِ ...ولا أريد سواكِ.. أريد أن أشيخ بجوارك ..وأبنائي يكونون منكِ .

لن تنكر بأنه أرضى غرورها الأنثوي في هذه اللحظة ..»ساجد القاسمي" يريدها ولا يريد سواها..يريدها هي دون الجمع الغفير من النساء اللاتي تحطن بحياته .....

لتتألق عيناها كالنجوم المشعة في ليلة حالكة السواد.. وتبتسم بعفوية..

وتنتقل العدوى إليه ...وهمس بنبرة حالمة :

-"ستكونين لي سيادة ....قولي "نعم"....

أومات برأسها، وهربت من أمامه.

أما هو حمد الله بأنها ذهبت ...لأنه لم يتوقع ردة فعله على موافقتها أمامه ....

وأخيرًا سيتزوج سيادة.

❁❁❁❁❁❁

كاد أن يجنّ، سهم أحمق حرق قلبه ..عندما جاء إليه صديق «كامل «؛ ليخطب نغم ... صغيرته ورفيقة طفولته وحبيبة قلبه ستتزوج من غيره ...

فذاك الرجل لا يرفض الاقتران به، فهو يعمل كمدرس اللغة الانجليزية ..ولديه إرث كبير... أليس مناسبًا لنغم أكثر منه؟ لديه المال والعلم ...

تنهد بألم ..يريد أن يصرخ ..ولكن لم يستطع ...يريد نغم بكل جوارحه، ولكن ما باليد حيلة... نغم ستصبح لغيره شاء أم أبى ..حلم طفولته ..حبه الوحيد ..سيأخذونه منه .. سيسلب منه آخر ما تبقى من أحلام اليقظة ...

كان يعلم بأنها ليس له، فكيف بنجمة في سماء تتزوج منه هو؟..وهو ليس سوى "ميكانيكي "..وها

هـو يحـضر لـزواج شـقيقته الأسـبوع القـادم ..وسـيترك القريـة للأبـد ..لـن يتحمـل رؤيتهـا وهـي تـزف لغـيره ...سـيموت حتـمًا ..إن رآهـا...

ارتـدت حجابهـا، وخرجـت تعـدو مـن منزلهـا ...سـتغزوه في عقـر داره، فتحـت البـاب بـدون اسـتئذان، ودلفـت؛ لتجـد سـيادة أمامهـا؛ لتسـألها بصـوت مخنـوق

-«أين حمزة؟"

أشـارت سـيادة نحـو غرفتـه ...طرقـت نغـم البـاب عـدة طرقـات؛ لتسـمعه يقـول :

-تفضل

ولجـت للغرفـة لتجـده جالسًـا عـلى فراشـه، وأمامـه يقبـع جهـاز الحاسـوب، ليهمـس ومـازال تركيـزه في الجهـاز أمامـه

-«ماذا هناك سيادة؟ "

لم تتفـوه بكلمـة، ليلتفـت نحـو البـاب، ليجـد نغـم واقفـة كفهـد يتربـص بفريسـته ..لينقـض عليهـا ..لتتلقـي أعينهـما ...وتشـابكت في معركـة طاحنـة..

هـي حدقتاهـا تحمـل اللـوم والخـذلان ..أمـا عينـاه تحمـلان اللهفـة والحرمـان لرؤيتهـا بعـد غيـاب وهـو يتأمـل عينيهـا اللامعتـين ...

سألته هامسة :

-لمـاذا ...لمـاذا تريـد أن تتخلـص منـي ؟؟..هـل لهـذا الحـد تتضايـق مـن وجـودي؟؟..

فهم قصدها، وهمس بصوت أجش:

-إنه مناسب لكِ يا نغم ....

صاحت بغضب

-ولكني لا أريده...

" اقترب منها، وهمس:

- لماذا؟ إنه رجل رائع...

صرخت به قائلة :

-ولكنـي أريـدك أنـت ...هـل تفهـم يا»حمـزة شـاهين»؟.....إني أريـدك أنـت، ولا أريـد سـواك....

ارتجـف قلبـه بقـوة ...اعترافهـا المبـاشر الـذي هـز أعماقـه مـن الداخـل ...شـعر بغصـة في حلقـه ..ابتلعهـا بـألم ...

-ولكني لا أناسبك .....

لاتصـدق أنهـا اعترفـت أمامـه، وقالـت لـه: إنهـا تريده، كيـف تجـرأت عـلى قـول ذلـك؟ .....تأملـت عينيـه ...لتشـهق بصدمـة لقـد كان قريـب ..قريـب لدرجـة أن تـرى

شـعر ذقنـه النامـي ...وتلـك العضلـة التـي تنبـض في جبهتـه لتشـعر بالـدوار فجـاة

وتشـعر بـالأرض تهتـز مـن أسـفلها ....لتنهـار قواهـا، ويتلقفهـا حمـزة بـين ذراعيـه «نغـم"

- ...نغم ما بك؟...

همست وهى تغمض عينيها:

- «أحبك يا حمزة...أحبك ولم أرَ سواك ...ولو

خـيروني بينـك وبـين العـالم بأكملـه ..سـأخترك أنـت.. ولـن أسـامحك إن تركـت شـعري يغفـو عـلى وسـادة

غـيرك...»

اليـوم يـوم زفافـه عـلى رفيقـة طفولتـه "نغـم"، ارتـدى الحلـة السـوداء...منذ تلـك الليلـة التـي شـعر فيهـا بمـذاق الفـراق، وهـي تفقـد الوعـي بـين ذراعيـه ...

أقسـم بأنهـا لـن تكـون لغـيره ....لقـد تزوجـت سـيادة منـذ شـهرين ....وسـعادة تشـع مـن ملامـح وجههـا....

لقـد أشرقـت شـمس السـعادة عـلى حياتهـما ...لمـح مشاكسـة شـقيقته لزوجهـا ...ليبتسـم بسـعادة «سـاجد القاسـمي» رجـل غـير كل الرجـال ... لقـد احتـوى سـيادة ... وجعلهـا ترسـو أخـيرًا عـلى بـر الأمـان ....الأمـان الـذي فقدتـه في حياتهـا السـابقة ...

لقـد غيرهـا وبمطلـق موافقتهـا ...لقـد جعلهـا ملكـة عـلى مملكـة فـؤاده ... لتشـع نـورًا ودفئًا...لتصبـح سـيادة أخـرى ...امـرأة مفعمـة بالأمـل، وحـب الحيـاة ...ليقطـع شروده نـداء صهـره: هيـا يـا عريـس لنصـل للعـروس مبكـرًا ...

فاليـوم سـأكون السـائق الخـاص لسـيارتك ... كان إحساسًـا رائعًـا، الجميـع كانـوا سـعداء ...شـعورٌ فقـدوه منـذ زمـن لتبتسـم لهـم الدنيـا في النهايـة.

وتدفق جرعة من السعادة لحياتهم....

أعـددت الكثـير والكثـير مـن الأطعمـة والحلـوى اليـوم غـير العـادة، اليـوم سـتحتفل مـع حبيبهـا وزوجهـا حمـزة ..... تذكـرت زواجهـا مـن حمـزة .....لقـد كان الأمـر أشـبه بطيـف مـن ألـوان في ليلـة حالكـة السـواد...كان كقطـرة مـاء في صحـراء جـرداء ...

كان كنسـمة بـاردة في صيـف حـار ...هكـذا كان زواجها مـن حمـزة في كل لحظـة تشـكر القـدر لهديتـه لهـا .... والآن قـد اتمـت الدنيـا تغديقهـا بالنعـم، ورزقهـا اللـه بقطعـة منـه .....تحسسـت بأناملهـا بطنهـا ..... والبسـمة تعلـو ثغرهـا، مـا زال شـعورها لا يوصف في هـذه اللحظة ....فكيـف يوصـف؟..... شـعور امـرأة تحمـل طفـلًا لرجـل تعشـقه .. وتشـعر بجـزء ينمـو في أحشـائها منـه ..

ولـن يوصـف شـعورها حـين تضـم طفلـه بـين ذراعيهـا، وأنهـا سـتملك أخـيرًا، وإلى الأبـد قطعـة منـه ... يـا إلهـي! شـعور لـن يوصـف ... كل كلـمات السـعادة لـن تصـف

شعورها في هذه اللحظة ...

زينت مائدة الطعام ....وارتدت رداء أحمر بحمالة واحدة يصل إلى ركبتيها ....يعكس لون بشرتها البيضاء .... وزينت وجهها بزينة خفيفة تبرز جمال ملامحها ...جلست على الأريكة وهي شاردة في حمزة منذ زفافها وهو يغدق عليها الحب والحنان، واعترف لها بمشاعره الجياشة .... لتشعر أنها تحلق في سماء عالية، لم يصل إليها بشر من قبل، و لن يصل إليها بشر من بعد ....لقد جعلها فوق سحابة وردية لا تصلها الغيوم، ولكن منذ أيام وأحواله متغيرة ...

كثير الشرود ... وكأنما هناك همٌ لا تعرفه .... سألته ما به؟ وكان جوابه المعتاد «لا شيء « ويبتسم لها، ولكنها تشعر به حتى ولو لم يبح لها بما يضايقه، ويجيش بصدره، لكنه اليوم سيسعد ناسيًا حزنه وألمه ....ولن يتذكر سوى أنه سيصبح أبا .....

حمزة سيصبح أبًا، قطع شرودها رنين جرس الباب .... ارتدت مئزرها ....وقلبها يخفق بعنف، وفتحت لتجد والدها وملامح وجه تصرخ بالحزن، تردد الصمت للحظات بينهما .... ليحمل بينه صرخات لها

ألـف معنـى ومعنـى.....

مـا الـذي حـدث؟ .... هـل بالفعـل حمـزة قتـل؟ ..... لتشـعر بـأن الكـون فقـد اتزانـه فـي لحظـة ...وتصبـح الحيـاة بـلا معنـى .....صـوت والدهـا يخفـت ويخفـت ....ويصبـح مجـرد صـدى .....وضعـت كفيهـا عـلى بطنها، وكأنهـا تحمـي جنينهـا مـن هـول مـا سـمعت ...وتشـعر بعقلهـا مشـوش ... وغـير قـادر عـلى الاسـتيعاب ليضمهـا والدهـا ويلقـي عـلى مسـامعها العديـد والعديـد مـن عبـارات الصـبر والسـلوان ....وكيـف لهـا أن تتحـلى بالصـبر، وهـى فقـدت جـزءًا مـن روحهـا.

نـار تـزداد اشـتعالًا لا تـترك أخـضرَ ولا يابسًـا، هرولـت بسرعـة نحـو سـلامٍ لا تعلـم كيـف دبـت في قدميهـا الحياة؟.....كانـت قدماهـا عبـارة عـن هـلام ....

كلـما تـزداد سرعتهـا يـزداد خوفهـا تبحـث بعينيهـا عن شيء مـا أو شـخص مـا.. لا تعـرف مـا هـو؟ تتلفـت حولهـا بجنـون .....مازالـت تـرى أشـباح طفلـين أو بالأحـرى طفـل وطفلـة ....

ونـار مشـتعلة في جسـدهما، ويتضرعون لهـا بانقاذهما، وكلـما اقتربـت لتنقذهـم مـن نـيران تجدهـم ينسـحبان

للخلـف، وكأن قـوة تبعدهـم عنهـا، ومـازالا يصيحـون ويتضرعـون لهـا بانقاذهـما ....ولا تسـطيع، حاولـت ويعلـم اللـه بأنهـا حاولـت وبـكل قواهـا ....التـي أنهكـت الآن .... وهـا هـى الآن سـتهرب مـن هـذا المـكان الملعـون .... تريـد أن تنهـي حياتهـا التعيسـة ..

سـمعت صوتًـا يناديهـا مـرارًا وتكـرارًا مـن بعيـد لتفتح عينيهـا في النهايـة لتجـد رؤيـة مشوشـة، ورجـل يـشرف عليهـا، وتحركـت شـفتاها بكلـمات مبهمـة غـير واضحـة بتاتَـا .....

ليتضـح لهـا رؤيـة ببـطء، وتجـد سـاجد يمسـح لهـا جبهتهـا مـن العـرق الغزيـر ...شـعرت بجفـاف في حلقهـا لتبلـل شـفتيها بطـرف لسـانها ... حاولـت بكل اسـتطاعتها لتتطلـب المـاء، ولكـن تتحـرك شـفتاها، وتقفـل مـرة ثانيـة تشـعر بـأن أحبالهـا الصوتيـة بعيـدة كل البعـد، وكأنهـا اسـتنزفتها جميعًـا في صراخ بالحلم....تكفهـرت ملامـح وجههـا عنـد تذكرهـا لهـذا الكابـوس، لقـد عـادت لهـا كوابيسـها مـرة أخـرى «حمـزة « همسـت بهـا سـيادة بصعوبـة .....ليضمهـا سـاجد، ويقبـل إحـدى وجنتيهـا، ويقـول لها:حمـزة بخـير يـا سـيادة... لا تقلقـي هـذا

كابـوس ....

لتـزداد انهـمار عباراتهـا، وهمسـت بـألم «أنـت لا تفهم يـا سـاجد ... لقـد رأيتـه في المنـام ...وهـو يطلـب منـي المسـاعدة

هو....

وأردفت بنشيج من البكاء، وتشعر بثقل في لسانها

بينـما هـي تغمـض عينيهـا وتبـكي ....وتركـت لدموعهـا العنـان .... تحررهـا ...

لتنطلـق معهـا أنفاسـها المختنقـة، وتباعـدت كلماتهـا « لقـد رأيـت فـرح .... وحمـزة ...

حمزة ليس بخير صدقني :.....

ظـل سـاجد يضـم سـيادة بقـوة .... وهـي مـا زالـت تهـذي .....

تتحـدث لحظـة عـن حمـزة ولحظـة أخـرى عـن والدهـا ...

لفـت نظـره ذكرهـا اسـم والدهـا في هذيانهـا .....الذي

لم تتحدث عنه قط منذ زواجهما، ليقطع سكون الليل في هذه اللحظة صوت رنين هاتف لتجيب سيادة، وجدت اسم خالها يضيء على شاشة الهاتف، وهي ما زالت في حالة اللاوعي لتطلق صرخة واحدة، وتفقد الوعي ليلتقطها ساجد بين ذراعيه.

أخيرًا ... لامس جسده المرهق الفراش يشعر بكل عضلاته تئن بألم، كلها تصرخ أن يرحمه؟

وأن يعطيه القليل والقليل من الراحة.

ما زال يشعر بألم في إنحاء جسده .....مقتل حمزه شهيد أفجع صدمة تلقاها من القدر ... ليختمها حالة اللاوعي التي تحياها سيادة، ما زال يتذكر بعد فقدانها للوعي عندما تلقت الخبر ليذهب بها إلي المستشفى، وضعت لها العديد من المحاليل الطبية ومهدئ الأعصاب، كانت كل بضع ساعات تستيقظ تصرخ وتبكي ليأتي الأطباء؛ ليحقنوها بالمهدئات والمنوم ...

ظلت مع هذه الحالة لأيام شتى .....لتختار في النهاية العيش في حالة اللاوعي.....قلبه يتمزق من حالتها المرضية ....يريد أن يعيدها إلى الواقع، ولكنها ترفض بإصرار ...قال الأطباء: بأنها تريد الهروب .... لقسوة الظروف التي عاشتها ولكنهم يجهلون تلك الظروف .... وجميع الأطباء أخبروه ... معرفة ماضيها باب من أبواب الدخول لحياتها وعالمها..

لا يصدق !!

هو فقط لا يصدق ....تأفف بحنق، ومضى يقلب في الملفات التي تناثرت أمامه دون أي تنظيم، وأنفاسه تتسارع بحزن وغضب ..... قلّب هنا وهناك .... مضى ثلاثة أسابيع وهو يعيش في جحيم منذ أن وصل اتصال من المحقق لقضية قتل حمزة .... وهو يعيش في دوامة، هل بالفعل حمزة كان ضمن جماعة إرهابية متطرفة الفكر ليفعلوا هذه الجريمة البشعة؟ .... وأنهم المسؤولون عن تفجير كنيسة «ماري جرجس «

بمركز « آل نجدي « ...وحمزة وجماعته الإرهابية مطالبون من القانون والعدالة للتحقيق معهم .... ويبقى السؤال مستمرًا، كيف لحمزة أن يشترك في تفجير الكنيسة؟، وكيف له أن ينضم لمثل هذه الجماعة من الجماعات ؟؟؟

ويُقتل حمزة في الوقت الذي يليه تفجير الكنيسة .... ويبقى هذا سؤالًا بلا جواب .....وها هو في مكتب المحقق يقرأ العديد من التقارير والأوراق... غير فاهم لشيء ....زفر بتوتر، وكاد يصرخ إلى أن سمع طرقات هادئة على الباب

قال:

- تفضل

دخل المحقق في قضية مقتل حمزة، والتي أصبحت الآن قضية إرهاب دولي، وقال له بخفوتٍ:

هل اطلعت على الأوراق دكتور» ساجد» ؟؟

بلى : لكنني لا أفقه شيئا منها.

نظر في عين «ساجد» المرهقتين قائلًا:

- سأوضح لك كل مبهم .....

لقد قتل حمزة بالفعل على يد جماعة إرهابية، ويرجع السبب إلى اختلاف حمزة مع الإمام .... وسبب الاختلاف مجهول إلى الآن ...وقد تم تفجير الكنيسة في ذات اليوم الذي قتل فيه «حمزة»، وهذا دليل بأن حمزة رفض المشاركة في هذه العملية الإرهابية .... كما توصلت المعلومات.

لماذا لم يتم القبض على الإمام حتى الآن ؟؟؟

المحقق: بكل بساطة، وباختصار شديد يا ساجد هذا رجل غير مسلم من الأساس، ومن خلال تحرياتنا الخاصة، وضح لنا أن هذا الرجل ذو جنسية أجنبية، وما زلنا لا نعرف لأي دولة ينتمي؟ ..... وكل ما يقوم به هو دعوة الشباب تحت شعار " الجهاد في سبيل الله "

يريد إحداث فتنة في البلاد، وذلك عن طريق الفتنة بين المسلمين وإخواننا المسيحيين.

-ماذا يستفيد من كل هذا ؟

قالها ساجد وهو يتجرع ألمًا

هـذا الرجـل المسـتشرق كل عملـه فقـط الاسـتيلاء عـلى عقـول الشـباب كغـيره مـن المسـتشرقين ممـن يتدربـون وينشـؤون ليكـون هـذا عملهـم ...

لوقـت طويـل يجلـس عـلى هـذا الكـرسي، وأمامـه سـيادة يحدثهـا كعادتـه في أمـور شـتى ..تغيـير طفيـف يلاحظـه مـن حـين لآخـر، لقـد بـدأت تسـتجيب لـه ..ففـي بعـض الأحيـان عندمـا يحدثهـا عـلى شيء مـولم في حياتـه، يـرى تذبـذب حدقتيهـا بانفعـال..

وعندمـا يحدثهـا عـن ماحـدث لـه مـن سـعادة منـذ ولوجهـا في حياتـه يـرى عينيهـا تلمعـان ...دقـات متتاليـة عـلى بـاب الغرفـة ..ليـأذن للطـارق بالدخـول ...

دلفـت وهـى تضـم رضيعهـا بـين ذراعيهـا ..وقـع أقدامهـا هـو مـا قطـع الصمـت

الـذى يعـم أرجـاء الغرفـة ...لتندفـع بملابسـها سـوداء نحـو سـيادة، وتضمهـا بـذراع،

والـذراع الآخرتحمـل صغيرهـا ..جلسـت بهـدوء بجـوار

سيادة، تخفى عاصفة الشوق التي تعصف بداخلها ..همست

-"سيادة"

تحركت عضلة بجوار فمها، وحدقتاها تتحرك بهلع..

لتهمس نغم بنبرة متحشرجة، ودموع تملأ مقلتيها "سيادة"...هذا ابن حمزة..» وتشير بإصبعها نحو وليدها، وأردفت» واسميته حمزة ..»

حركت أناملها ببطء لأول مرة بعد أشهر من السكون...وتوترت نظرة عينيها الشاخصة في الفضاء البعيد...

نظرت لها مطولًا، وأكملت:

- «سيادة»... حمزة بحاجة إليكِ يجب أن تكوني بكل قواكِ لتراعيه معي؛ لتجهش بالبكاء، وضمت سيادة التي ما زالت أناملها على وجه الرضيع.... وتنطق متلعثمة ....ح..حم..... وكأنها قادمة من بعيد.. حمزة .. ودموعها على وجنتيها تنهمر، وجسدها يرتعش بأكمله .... وقف مذهولًا « ساجد»

وهـو يـرى حبيبتـه تحـرك أصابعهـا، وتتحسـس وجـه الصغـير» يـا إلهـي ذاك مـا كانـت تحتـاج إليـه سـيادة كـما قـال الاطبـاء

بعد مرور خمس وعشرين عامًا

" في قـصر سـاجد القاسـمي" تـلألأت الحديقـة بأضـواء سـاطعة ذات ألـوان شـتى، الجميـع تغمـره السـعادة .. وقـف سـاجد مبتسـمًا، اليوم عقد قـرآن ربيبته «قُسـم»... عـلى ابـن خالهـا «حمـزة»... تنقلت بـين المدعويـن بخفة، ووجههـا يشـع بالسـعادة، صغيرهـا سـيتزوج مـن ابنتهـا اليـوم ...اليـوم فقـط تشـعر بأنهـا تملـك سـعادة العـالم بأكملـه مـن يكـون مثلهـا؟، ومثلهـا مـن يكـون؟ أغـلى مـن في الكـون سـيجتمعان تحـت رايـة الحـب»